المركز الجامعي الونشريسي بتيسمسيلت
University Center El Wancharissi of Tissemsilt - Algeria

دراسات معاصرة

E.C.L.M
مخبر الدراسات النقدية و الأدبية المعاصرة - تيسمسيلت

كانون الثاني جانفي
2019

ISSN: 2571-9882
EISSN: 2600-6987

دراسات معاصرة

معامل التأثير العربي لسنة 2018 قدره 0.265

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ دَوْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ تُعْنَى بِالدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

تَصْدُرُ عَنْ مَخْبَرِ الدِّرَاسَاتِ النَّقْدِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ - الْمَرْكَزِ الْجَامِعِيِّ الْوَنْشَرِيسِي - تِيسِمْسِيلْت / الجزائر

السنة الثالثة – المجلد 03 – العدد 01

الإيداع القانوني:
جانفي 2019

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي الونشريسي/تيسمسيلت

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

الإيداع القانوني: جانفي 2019

ISSN 2571-9882
EISSN 2600-6987

معامل التأثير العربي لسنة 2018/ 0.265

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي-تيسمسيلت/الجزائر

تعنى بالدراسات النقدية والأدبية واللغوية

السنة 03 المجلد 03 العدد 01/ جانفي/ كانون الثاني 2019

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المجلة: المركز الجامعي -تيسمسيلت/الجزائر

البريد الإلكتروني للمجلة: dirassat.mo3assira@gmail.com

تستقبل المجلة البحوث عبر المنصة الجزائرية للمجلات العلمية المحكّمة

رابط المجلة:

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297

الرئيس الشرفي للمجلة: أ . د . دحدوح عبد القادر/مدير المركز الجامعي -تيسمسيلت

مدير المجلة: أ . د . خلف الله بن علي -المركز الجامعي -تيسمسيلت

رئيس التحرير: د . فايد محمّد -المركز الجامعي -تيسمسيلت

هيئة التحـــــرير:

أ.د. مصابيح محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر

أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.

أ.د. فريد أمعضشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب

أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر

د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس

د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر

د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر

د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر

د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب

الهيئة الاستشارية للمجلة:

أ.د. مصطفى عطية جمعة-كلية التربية الأساسية-الهيئة العامة للتعليم التطبيقي/الكويت

أ.د.يوسف وغليسي-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر

أ.د.صابر الحباشة-قسم اللغة العربية-جامعة زايد/الإمارات العربية المتّحدة

أ.د.بوزيان أحمد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر

أ.د.فريد أمعضشو-المركز الجهوي لمهن التربية والتعليم-وجدة/المغرب

أ.د. بوشوشة بن جمعة-الجامعة التونسية/تونس

أ.د.علي ملاحي-كلية الآداب واللغات الشرقية-جامعة الجزائر02/الجزائر

أ.د.عقاق قادة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر

أ.د نعيمة علي عبد الجواد(لغة وأدب إنجليزي)-كلية الآداب-جامعة القصيم/السعودية

أ.د.مباركي بوعلام-كلية الآداب-جامعة الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر

أ.د.غربي شميسة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر

أ.د.زروقي عبد القادر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر

أ.د.بولفوس زهيرة-جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة/الجزائر

أ.د.ذهبية حمو الحاج-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر

أ.د. عبد العالي بو طيب جامعة مولاي إسماعيل مكناس/ المغرب.

المركز الجامعي تيسمسيلت
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

اللجنة العلمية للعدد الأول المجلّد الثالث-السنة الثالثة (يناير 2019):

أ.د. مصابيح محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.لرقم راضية-كلية الآداب-جامعة قسنطينة/الجزائر
د.يونسي محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د. سمر الديوب- عميد كلية الآداب-جامعة حمص/سوريا.
د.بن قبلية مختارية-كلية الآداب-جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم/الجزائر
أ.د. فريد أمعضشو- المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق - وجدة / المغرب
د. محمد الرقيبات-جامعة اليرموك/الأردن
أ.د. خلف الله بن علي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.فاضل دلال-جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي/الجزائر
أ.د.بن فريحة الجيلالي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بوزوادة حبيب-كلية الآداب-جامعة معسكر/الجزائر
د. بولخراص محمد -كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د. طالب عبد القادر -جامعة امحمد بوقرة- بومرداس/ الجزائر.
د.رزايقية محمود- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.عادل الصالح- كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر.
د.نورة الجهني-جامعة الملك عبد العزيز-جدة/السعودية
د.بلميهوب هند- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.علاوة كوسة-المركز الجامعي ميلة/الجزائر
د.عبد العالي السراج- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب
د.معازيز بوبكر-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.حاكمي لخضر-كلية الآداب-جامعة د.الطاهر مولاي-سعيدة/الجزائر
د.بومسحة العربي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بلمرسلي سبع-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.روقاب جميلة-كلية الآداب-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف/الجزائر
د.بشير دردار- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.سحنين علي-جامعة معسكر/الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
مخبر الدراسات النقدية و الأدبية

د.هدروق لخضر- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
أ.د.سيدي محمد بن مالك-المركز الجامعي مغنية/الجزائر
د.شريف سعاد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.طير ابراهيم-مركز ابن زهر للأبحاث والدراسات في التواصل وتحليل الخطاب (مربد)-أغادير/المغرب
د.تواتي خالد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.بوضياف محمّد الصالح-المركز الجامعي –النعامة/الجزائر
د.بوعرعارة محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.براهمي فاطمة-كلية الآداب-جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس/الجزائر
د.غربي بكاي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.باقل دنيا-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.خضر أبو جحجوح-الجامعة الإسلامية-غزة/فلسطين
دبولعشار مرسلي- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.دبيح محمّد-كلية الآداب-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.سليمان زين العابدين- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون مكناس/المغرب
د.فايد محمّد- المركز الجامعي-تيسمسيلت/ الجزائر
د.خالد كاظم حميدي-كلية الشيخ الطوسي الجامعة/العراق
د.بوغاري فاطمة-كلية الآداب –ملحقة قصر الشلالة-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.بوشلقية رزيقة-كلية الآداب-جامعة مولود معمري-تيزي وزو/الجزائر
د.فارز فاطمة-كلية الآداب –ملحقة قصر الشلالة-جامعة ابن خلدون-تيارت/الجزائر
د.زغودة اسماعيل-كلية الآداب-جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف/الجزائر
د.بوسحابة رحمة (ترجمة)-كلية الآداب-جامعة معسكر/الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

روابط توطين مجلة دراسات معاصرة

المجلة موطنة ضمن موقع الأرضية الجزائرية الإلكترونية للمجلات العلمية المحكّمة asjp

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297

ومفهرسة عبر موقع المركز الجامعي تيسمسيلت عبر الرابط الآتي

/http://www.cuniv-tissemsilt.dz/index.php/dirassat-moaasira

وعبر موقع معامل التأثير العربي عبر الرابط الآتي

http://www.arabimpactfactor.com/Pages/tafaseljournal.php?id=7658

وعبر قاعدة بيانات دار المنظومة بالمملكة العربية السعودية/ رابط دار المنظومة

/http://mandumah.com

وعبر قاعدة بيانات مؤسسة معرفة للمحتوى الرقمي بالأردن/ رابط المؤسسة

/https://e-marefa.net/ar

المركز الجامعي تيسمسيلت
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

شروط النشر وضوابطه

مدير النشر: د.بن علي خلف الله رئيس التحرير: د.فايد محمّد.

تتشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها المقبلة بإذن الله، وذلك بإرسال أور اقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التنويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

1- -تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.

2.يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، ويتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.

3-تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.

4-يكتب البحث باستعمال برنامج 2007 Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدويا.

5-الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، 14 للإحالات (باللغة الأجنبية خط (times new roman) حجم 14 للمتن 12 للإحالات.

6-أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20 ، ولا يقل عن 15.

7العناوين الرئيسة والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي.

8-يقدّم الباحث ملخصا وكلمات مفاتيح باللغتين العربية والانجليزية.

9-لهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلّق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.

10-قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.

11-يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.

12-تدرج الإحالات بصيغة يدوية في نهاية البحث ويستعمل الباحث العلامة: "....." لتبيان بداية ونهاية الاقتباس،

13- الكلمات والمصطلحات وأسماء الأعلام باللغتين تُميّز بعلامة تختلف عن علامة الاقتباس... (.....) مثلا.

14-يزود الباحث بنسخة pdf من العدد الذي نشر فيه بحثه.

ملاحظة مهمة: يتم استقبال المقالات على مدار السنة. تصدر المجلة مجلّدا واحدا كلّ سنة يتكوّن من عددين يصدر الأول في الأسبوع الأوّل من شهر يناير من كلّ سنة أمّا الثاني فيصدر في الأسبوع الأول من شهر جويلية/ نوقف استقبال المقالات الخاصة بكل عدد قبل موعد نشره بـ 90 يوما

دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

افتتاحية العدد

كانت حلماً يداعب مخيلتنا، وأصبحت حقيقة بين يدي قرائها، وباحثيها. لم يكن في أذهاننا أن نضيف رقماً إلى سلسلة الدوريات المحكّمة في الوطن العربي، ونحن ندرك أنه هدف مشروع، ولا يخلو من فائدة حين يتحول التراكم إلى كيف ما، لكنّ المسافة بين هدفنا والأفق المفتوح كانت حافلة بالأحلام الخضر؛ لذا لم نقتنع بالثمار الميسورة من شجرة الواقع الثقافي، وامتد حلمنا إلى مجلة تقنع عقول قرائها، وتقدم لهم الفائدة المرجوة، وتكون عوناً للباحثين، فراحت أنظارنا تتعلق بزرع شجرة جديدة؛ لقناعتنا أن ما تأتي به الرياح تأخذه الرياح، فكان سعينا لتأسيس عمل جاد علمي رعيناه بذرة لكي يتحول إلى شجرة لا تخطئها العين.

ولأن همنا انحصر في الانفتاح على الوعي الثقافي ذللنا الصعوبات وأطلقنا مجلة دراسات معاصرة المحكّمة، وفرض هذا الأمر أن نتعامل تعاملاً خاصاً مع المادة البحثية المنشورة في مجلة دراسات معاصرة، مادة تشتمل على الإبداع، والأصول البحثية المنهجية، والعمق والرؤية الجديدة. من هنا انفتح أفق المجلة على الأبحاث الفكرية النقدية واللسانية واللغوية؛ أي على أقانيم المعرفة الإنسانية مزينين هيئة تحريرها بنخبة من الأساتذة المشهود لهم بالكفاءة في الوطن العربي.

وشرّعت المجلة أبوابها للباحثين من دول الوطن العربي، وتزينت هيئة تحريرها بالنخبة من النقاد المتميزين في الوطن العربي من شرقه إلى غربه، فلم يحدّ تباعد المسافات من التواصل، بل جعلنا أشد شوقاً إلى الآخر.

إن حظ دراسات معاصرة في الوجود بين شقيقاتها في الوطن العربي يصبح وجوداً حيوياً، يكتظ بالإنجازات المهمة، والخطوات الخضر. إننا نفتخر أنها ولدت في زمن التطلعات الكبرى نحو التميز والإبداع.

إننا مسكونون بالغد الأجمل، وتحقيقاً لهذا الطموح يصدر هذا العدد من مجلة دراسات معاصرة متضمناً جملة من المباحث المهمة التي تثير أسئلة في النقد تتصل بالمضامين التي يتأسس عليها أو بالمناهج والآليات التي يتوسل بها حين يستنطق النص الأدبي، وحول أسئلة النقد ثمة أسئلة أخرى ترصد الحيثيات القائمة بين النقد بوصفه حقلاً معرفياً والسياق الفكري الذي يصنعه الحدث التاريخي. فلم ينفصل النقد الأدبي يوماً عن المنظومة الفكرية العامة.

في هذا العدد الأول من المجلد الثالث الذي يصدر للسنة الثالثة على التوالي ثمة جملة من المباحث المتنوعة ما بين الفكري والنقدي والاجتماعي واللساني واللغوي، فيطالعنا بحث التجربة النقدية لدى محمد مصايف، والبعد التداولي للغة في تحليل الخطاب، وتحديد مكانة المرأة القديمة والمعاصرة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، والعلاقة بين الذات والآخر في رواية أول حب آخر حب في رواية ماري رشو، وآليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي، والشخصية المسرحية من منظور التلقي، وظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية، وغيرها الكثير من المباحث المتنوعة.

ونحن إذ نصدر هذا العدد الجديد نعمل على تطوير حلمنا، ونشكر القائمين على شؤون المجلة، والساعين إلى الارتقاء بها إلى أفضل المستويات، ونعد بالأفضل دائماً.

بقلم المحرّر المساعد أ.د. سمر الديوب
سوريا- حمص- جامعة البعث

محتوى العدد:

أثر البنية الإحالية لضمير الشأن في التماسك النصي(دراسة تطبيقية في بعض آي القرآن الكريم).....11-22
د. نورالدين دريم- جامعة الشلف الجزائر.
الاستشراق بين الاستمرارية و الأفول دراسة حجاجية.....23-31
د.حكيمة دريسي- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
البعد التداولي للّغة في تحليل الخطاب.....32-39
د.بومسحة العربي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
التجربة النقدية لدى محمّد مصايف.....40-48
أ.د. خلف الله- بن علي المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
التحقيق وعلم المخطوطات (المصطلح والمفهوم) 49-57
د. فتح الله محمّد- المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.
التكامل بين محارتي المحادثة والاستماع في التحصيل اللغوي المرحلة التحضيرية نموذجا.....58-64
أ.د. بن فريحة جيلالي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
الحكاية الشعبية في موازين الدراسات السيميائية والأنثروبولوجية (تحليل حكاية شعبية مرحة من منطقة الشلف).....65-73
د. نبيلة بلعبدي- جامعة الشلف الجزائر.
الخطاب الإشهاري في ضوء المقاربة الحجاجية.....74-81
د. سعيدة حمداوي- جامعة أم البواقي الجزائر.
الخطاب النقدي القديم من احتذاء النحو إلى وصاية البلاغة.....82-95
د.بشير دردار- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
الروافد المعرفية الحديثة في تشكيل الفكر الأدونيسي (الهُوية المُمزقة والدّفاع ضد القَمع).....96-106
د. معازيز بوبكر- جامعة تيارت الجزائر.
الشخصية المسرحية من منظور التلقي مسرحية "حلم ليلة دم" نموذجا.....107-116
د.بشرى سعيدي- الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية المملكة المغربية
العلاقة بين الذات والآخر في رواية "أول حب آخر حب" لـ ماري رشو.....117-127
د. إبراهيم الشبلي- المعهد العالي للغات الحية جامعة آرتوكلو ماردين تركيا.
القارئ و حركية الإبداع عند نبيلة إبراهيم و حميد لحمداني 128-134
الباحث: بوعلام حمديدي- جامعة الجزائر 2 الجزائر.
المثقف الجزائري ورحلة المعاناة في روايات عزالدين جلاوجي.....135-141
د. رويدي عدلان- جامعة جيجل الجزائر.
المعرفة المشتركة بين لسانيات الخطاب و البلاغة العربية -دراسة في آليات التقارب-.....142-154
د. إدريس عمراني- مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث مكناس/المملكة المغربية
المنهج الأسلوبي عند صلاح فضل.....155-161
الباحثة: لرجاني خديجة- أسماء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
النظرية التوليدية التحويلية وعملية التواصل اللغوي.....162-170

المركز الجامعي تيسمسيلت
مخبر الدراسات النقدية والأدبية
دراسات معاصرة
مجلة دولية محكمة

الباحثة: نعيمة طيبي- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
النقد النسوي العربي، إرهاصات وتجليات... 180-171
الباحث: عماربي محمد- جامعة تيارت الجزائر.
آليات السرد المعاصر في الخطاب الأدبي الإبراهيمي -التعدد اللغوي في رواية الثلاثة أنموذجا............................. 186-181
الباحثة: تقية هاجر- جامعة سطيف2 الجزائر.
بنية الجملة العربية في الكتابات اللّسانية التّوليدية التّحويلية المعاصرة كتابات عبد القادر الفهري أنموذجا............ 195-187
الأستاذ : محمد يـزيد سالم- جامعة بسكرة الجزائر.
بنية الحدث في رواية"فوضى الحواس"" لأحلام مستغانمي".. 200-196
الباحثة: بن عيسى سميرة- جامعة سيدي بلعباس الجزائر.
بنية العامل وإنتاج السرد قراءة سيميائية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني................................... 213-201
د. رشيد بلعيفة- جامعة خنشلة الجزائر.
تحديدُ مكانةِ المرأةِ القديمةِ والمعاصرة في ضوءِ علم اللّغة الاجتماعيّ (أشعارُ الخنساء و سعاد الصّباح أُنموذجاً)...... 226-214
د. روح الله صيّادى نجاد- جامعة كاشان جمهورية إيران الإسلامية
تعالق الشعر والدين في رواية سمرقند لـ" أمين معلوف".. 236-227
الباحث: نوال العايب- جامعة عنابة. الجزائر.
تقنيات السرد العربي القديم في ضوء العجائبية ألف ليلة وليلة أنموذجا... 245-237
الباحثة: ناجي نادية- جامعة تيارت الجزائر.
دور التلفزيون في الحفاظ على الثقافة الشعبية حصة " أماشهوا" أنموذجا... 254-246
د. مولود بوزيد- جامعة تيزي وزو. الجزائر.
رمزيّة الصُّورة الفوتوغـرافيّة للأمير عبد القادر الجزائري- قراءة في الدّلالة و التّأويل-........................... 260-255
د. حاكمي لخضر- جامعة سعيدة الجزائر.
صِفات الحُروف بين النُّحاة والبلاغيّين.. 271-261
الباحث: بوشيبة حبيب- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
طرائق التّدريس ودورها في تفعيل العمليّة التّعليميّة.. 279-272
الباحثة: بن نعجة فتيحة- جامعة تيارت الجزائر.
ظاهرة الخلط في كتب التراث اللغوية غياب منهج أم سوء فهم ؟(البيان والتبيين نموذجا)............................. 290-280
د.مرسلي مسعودة- المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.
فاعلية السّرد في الحكاية العجيبة "نصيف عبيد" البناء والدلالة... 302-291
الباحثة: فايزة بن كروش- جامعة محمد بوضياف/المسيلة الجزائر.
فلسفة القراءة التفكيكية من التأويل إلى انحراف المعنى.. 308-303
د. عبد الرزاق علا- المركز الجامعي عين تموشنت الجزائر.
فن القراقوز في الجزائر من خلال أدب الرحالات الأجنبية... 318-309
أ.مباركة مسعودي- جامعة عنابة الجزائر.
من مباحث تعليمية المعجم عند روبار غاليسون... 328-319
الباحث: وسعي بشير- جامعة سعيدةالجزائر.

مجلة دراسات معاصرة؛ دورية دولية نصف سنوية محكّمة تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

تاريخ الإرسال: **26** سبتمبر **2018** تاريخ القبول: **17** نوفمبر **2018** تاريخ النشر: **02** جانفي **2019**

الخطاب النقدي القديم
من احتذاء النحو إلى وصاية البلاغة
The old critical discourse
From the use of grammar to the tutelage of eloquence

د.بشير دردار
المركز الجامعي الونشريسي ـ تيسمسيلت
الجزائر
bacderdar@gmail.com

الملخص:

لا يُختلف كثيرا بين المهتمين، في القول بتأثير العلوم اللغوية في مقولات النقد القديم ومفاهيمه، تأثيرا كبيرا. لكن تقدير هذا التأثير والدلالة على مواضعه، وتقدير مداه الزمني، هو ما تتفاوت فيها الأطروحات التي يهتم فيها أصحابها بمعالجة هذه المسألة. فبعض كتب تاريخ النقد القديم تحصر هذا التأثير في مرحلة زمنية محدودة جدا، وفي طائفة من أعلام اللغويين الأوائل الذين سبقوا سيبويه، بينما يذهب باحثون معاصرون آخرون إلى اعتبار نظرية النقد العربي القديم برمتها نظرية ذات أساس لغوي، وأكثر ما يجلي هذا الحكم في نظرهم، هو مفهوم عمود الشعر الذي تتقاسمه علوم معيارية ثلاثة؛ علم النحو، وعلم البلاغة، وعلم العروض.

نحاول في هذا البحث تتبّع الآثار الظاهرة والمضمرة لعلوم اللغة العربية في بنية الخطاب النقدي القديم المفاهيمية والاصطلاحية، من خلال استحضار وفحص أمثلة دالة من مدونة النقد القديم وقع فيها التداخل والتواشج بين المفهوم اللغوي والممارسة النقدية النظرية والتطبيقية.

الكلمات المفتاحية: النقد القديم، النحو، البلاغة، الاحتذاء، الوصاية

Abstract:

It is commonly accepted by scholars that the concepts of early literary criticism are strongly influenced by the language sciences. Their opinions differ only when they begin to evaluate this influence, estimate its duration, and indicate its forms. In some books devoted to the history of criticism the influence in question is reduced to a very limited time, and supposedly concerned only the first linguists who lived before Subawaih. This opinion is obviously not shared by many other contemporary researchers, who advocate the thesis that; the old Arab criticism is downright linguistic. To argue this thesis, they call to ponder about the purely linguistic content of the central concept of the poetic norm "amud ach'iir", in which the three language sciences interweave: grammar, rhetoric, and prosody.

In this article, we propose to identify the traces left by the interaction that has occurred between the language sciences and criticism in ancient times. We are particularly interested in traces of conceptual and terminological structures, through the examination of illustrative examples found in the corpus of ancient criticism.

Key words: *ancient criticism, grammar, rhetoric, imitation, tutorship*

توطئة:

تقوم معالجتنا للإشكالية المطروحة ضمنيا في عنوان هذه المداخلة، على الانطلاق من نوعين من المصادرات الأولية؛ مصادرات عامة ذات طبيعة إبستمولوجية، تفرض حتمية التداخل والتفاعل بين علوم اللغة والنقد، بوصفه تخصصا يعنى بتحليل وتفسير منتج لغوي من طبيعة خاصة، ومصادرات خاصة، تفحص هذه العلاقة المفترضة نظريا في ضوء ظروف وملابسات التقاء النقد الأدبي العربي القديم، مع علوم اللغة، والبحث فيما إذا كان هذا اللقاء مناسبة للتحاور والاستلهام الذي يحفظ للنقد استقلاليته، ويترك له هامشا لتشكيل هوية التخصص المعرفي كامل الحقوق، أم أن اللقاء كان محاطا بتأثيرات الاضطرار التاريخي التي فرضت على النقد أن يرضى بالاتباع، ويكتفي بالاحتذاء.

مصادرات عامة:

1- **من سطح اللغة إلى عمقها/ قصة المعرفة اللغوية والنقد:** سطح اللغة أطوع للدراسة من عمقها، فظواهره تقبل الملاحظة والقياس والإحصاء، في حين تحتاج ظواهر العمق إلى أدوات أخرى أقل نجاعة في الإحاطة ببنية موضوع الدرس وخصائصها وكيفية اشتغالها. ثبت هذا في تاريخ الدراسات اللغوية عند كل الأمم، وأكده التحقيق العلمي في اللسانيات المعاصرة التي اعترفت في بادئ أمرها باستعصاء دراسة المكون الدلالي، فاستبعدته أولا، ثم أجلته، وعادت آخر الأمر إلى الاهتمام به، بعد أن لم تجد بدّا من الاستعانة بالحقول العلمية المجاورة.[1] مناسبة هذا الكلام، هي المصادرة على أن دراسة أي منتج لغوي، من الكلام العادي إلى الكلام الأدبي لا يمكن أن تستغني عن استحضار مفاهيم العلوم اللغوية، لأنها مجبرة إجبار ضرورة، على الانتقال من سطح اللغة إلى عمقها، من المعلوم الظاهر، إلى المجهول المضمر. فالبنية العميقة تترك آثارا يستدل بها في سطح اللغة. وعلى ذلك قامت نظريات كثيرة في تحليل الخطاب(بالمدلول العام لكلمة تحليل الخطاب). في تراثنا القديم اكتشف علماؤنا الأوائل قوانين السطح، فألقتي في أمنيتهم أن ذلك يخولهم سلطة الحكم على قضايا الشعر كلها، قضايا السطح وقضايا العمق معا.

2-**نموذجية الكلام الأدبي/ المزية والعيب:** لا تخلو مدونة من مدونات الأنحاء القديمة في كل اللغات من شواهد الكلام الأدبي، بل إن المنظومة الشواهدية فيها تكاد تنحصر في المقتطف من إبداعات الأدباء المشهورين. وفي هذا ما يدل على الاعتراف بنموذجية الكلام الأدبي واعتباره الاستعمال اللغوي الصحيح الذي ينبغي الاقتداء به. وبهذا ترتبط أيضا سمة المعيارية التي تعاب بها الدراسات اللغوية القديمة.[2] لكن هذه المزية تحمل في أطوائها كثيرا من المحاذير، فالاصطفاء كما يمارس على الكلام، فيفرز أدبيّه من عاديّه، يعود فيسلّط على الكلام الأدبي، فيفرزه أشكالا وألوانا. حدث في تاريخنا القديم الفرز بين القديم والمحدث، والمطبوع والمصنوع، والملتزم بعمود الشعر والمفارق له؛ وكله كلام أدبي. وهناك محاذير أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

3-**تفاعل الأنساق المعرفية/ المهيمن والمهيمَن عليه:** أصبح من المسلم به أن المعرفة الإنسانية حقل واحد واسع، وأن تقسيمها إلى ضروب وتخصصات- فضلا عن كونه مستحدثا في منظور الإبستمولوجيا وتاريخ المعارف والأفكار- هو إجراء حتمه اتساع حقل المعرفة ووفرة منتجاتها، بصورة أصبح فيها عدم التخصص مرادفا للجهل والأمية. يلزم عن هذه المقدمة أن المعرفة كانت حقلا واحدا عند نشأتها الأولى، ثم تفرعت فروعها في نسق مطّرد على مرّ الحقب التاريخية، حتى وصلت إلى ما هي عليه من التمايز الموهم بانفصال الحقول بعضها عن بعض. كما يلزم عنها أيضا المصادرة على أن التداخل والتفاعل هو السمة الأولى للمعرفة الإنسانية. وأن ما ينبغي طرحه اليوم، هو البحث في مقادير التفاعل، ومساحات التقاطع، لا في وجود التداخل أو عدمه.[3] نفضي من هذا الكلام إلى القول: إن تفاعل الأنساق المعرفية موجود وقائم، وأن تاريخ الثقافات يحدّد الشكل الذي يأخذه هذا التفاعل. فإذا نظرنا إلى ثقافتنا العربية الإسلامية، وجدنا أن أول معرفة تشكلت وتنظّمت، هي المعرفة الدينية، وأعقبتها المعرفة اللغوية الخادمة لها، شديدة التداخل معها، ليشكلا معا النسق المعرفي المهيمن، الذي دارت في الأفلاك المرسومة حوله باقي الأنساق الثقافية والمعرفية. يكفي أن تتأمل مصير الفلسفة ماضيا وحاضرا، لتتلمس مصداق ذلك. قارن مصير الفلسفة عندنا بمكانتها عند الغربيين قديما وحاضرا.[4]

4-**المعرفة اللغوية ملابسة للممارسة النقدية ملازمة لها:** يحفل تاريخ النقد والبلاغة والتخصصات التي موضوعها دراسة الكلام الأدبي، بالإحالة إلى مفاهيم العلوم اللغوية. فلا يكاد يخلو كتاب منتم إلى هذه التخصصات من إثارة مسائل تتعلق بقضايا الإيقاع الصوتي، والاختيار المعجمي، والتأليف التركيبي، وما يتفرع عنها. نجد ذلك في تاريخ النقد الأدبي عند العرب، حيث هيمن النسق المعرفي الديني اللغوي، كما نجده عند الأمم الأخرى، لا سيما عند اليونان القدماء، حيث هيمن النسق المعرفي الفلسفي، وإن كان الاهتمام بقضايا السطح اللغوي متفاوتا في حجمه، وفي المبررات العلمية للاشتغال عليه.[5] هذا عن تليد الدراسات، أما في العصور التالية، وخاصة في العصر الحديث، فتناول ذلك ومحاولة الحجاج حوله، قد تعد ضربا من توضيح الواضحات. فماذا يقول المحاج في هذا الموقف المفترض، مثلا: هل يقول: دراسة في بيان علاقة النقد البنيوي باللسانيات البنيوية؟ أم يقول: دراسة في

بيان علاقة النقد السيميائي بالسيميائية؟ أم يقول: دراسة في بيان علاقة النقد التداولي باللسانيات التداولية؟. وإن كان الجواب المتفق عليه هنا، لا يتعارض تماما مع التسليم بواقع قائم اليوم، هو انفتاح الدرس اللغوي ذاته على الحقول المعرفية الأخرى، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، والمنطق، والتاريخ، والسياسة، وعلم الاقتصاد، وغيرها.

المصادرات الخاصة:

1- نظرية النقد العربية القديمة، قامت على أساس لغوي: قامت نظرية النقد العربية القديمة على أساس لغوي، ليس اختيارا، وإنما اضطرارا، لأن النقد يوم تأسس كحقل تخصصي، لم يجد أمامه من معرفة يتكئ عليها في تصور قضاياه، وتعليل أحكامه، وتأييد أطروحاته؛ لم يجد سوى المعرفة اللغوية، فقد ظهرت بحوث النحو الأولى مبكرا عند طبقات النحاة الأوائل، وإن كان أول كتاب في النحو وصلنا هو"الكتاب" لسيبويه(ت180 ه). ومقابل ذلك لا توجد تآليف يعتد بها في النقد، إذا أخذنا بالرأي القائل بأن أول كتاب نقدي، هو "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي (ت232 ه) [6]. وهذا الكتاب نفسه يقدم شهادة على أسبقية النحو في النشأة، بكثرة إحالته إلى اللغويين والنحاة، والاتكاء على آرائهم في مشروعه لتصنيف الشعراء، كما هو معروف.[7] وبالمقابل كان تأثير علوم أخرى، كعلم الكلام والفلسفة، والمنطق هامشيا، لا يصح الاعتداد به، فضلا عن كونه تأخر زمنيا، وكان استدعاؤه لأداء وظيفة منهجية، في مجال تصنيف المفاهيم، وضبط التدرج في تناول القضايا، ودعم التصورات ذات المنشأ المعرفي اللغوي، أو الديني.[8] ولا أدل على هذا التعثر في إغناء النظرية النقدية القديمة من الجانب المفاهيمي، من أن مآزق النقد وجدت معالجاتها في جهود بلاغيين بالتخصص، وليس نقادا. انظر إلى صنيع عبد القاهر الجرجاني الذي صالح بين النحو والبلاغة، واتخذ ذلك سبيلا إلى إحداث القطيعة المعرفية مع الممارسات النقدية التي ارتهنت لفهم متكلس لعمود الشعر، والسرقات، وقضية اللفظ والمعنى، ومركزية التشبيه وهامشية الاستعارة.[9] وغيرها من القضايا التي ظل النقاد، إما مستسلمين فيها لآراء سلفت، أو مترددين في اتباع حدوسهم الصادقة التي تدعوهم لتجاوز رثاثات عفى عليها الزمن. مصداق هذه الملاحظة هو أننا وجدنا تجارب شعرية يمضي عليها قرن من الزمان، فتؤسس اتجاها شعريا راسخا صلبا، ينتصب قبالتها، ولكن بفاصل زمني طويل موقف نقدي، يشدد النكير عليها، وينعتها بأقبح النعوت. في صورة شبيهة بمن يحلب ضرعا جافا.

2- احتذاء النقد لعلوم اللغة /الأولية والاضطرار التاريخي:

يكاد يصعق انتباهنا ما نلاحظه من احتذاء النقد كحقل تخصصي يدرس الكلام الأدبي لعلوم اللغة التي تدرس الكلام دون تمييز. علة ذلك كما سبق بيانه، الأولية والاضطرار التاريخي. انظر إلى قضية القدم والحداثة ومعالجتها لدى أوائل النقاد خاصة، تجدهم يتبنون تصنيف اللغويين. وانظر إلى الإجراء التحليلي، تجده قائما على أخذ النص الشعري أجزاء مفرقة، بيتا أو بيتين، والاهتمام بموضع الشاهد لفظا، أو تركيبا، أو أسلوبا بلاغيا، أو معنى جزئيا.[10] وانظر إلى وجود المصطلح أحيانا وغياب المفهوم؛ مصطلحا اللفظ والمعنى موجودان بكثافة في المدونة النقدية، ورغم جليل خطرهما ومركزيتهما، لم يهتم النقاد بتعريفهما، ولم يتوسعوا في درسهما نظريا.[11] السبب في نظرنا، تسليمهم بتعاريف اللغويين لهما، واعتبارهما لا يثيران أي إشكال من الناحية المفهومية. بقي أن تنظر إلى التعسفات التي أفضى إليها ذلك في التطبيقات النقدية عند ابن قتيبة، وابن طباطبا، وقدامة، وغيرهم.

3- تمثيل الشعر المدونة الأساسية لعلوم اللغة:

يمثل الشعر المدونة الأساسية التي اشتغل عليها علماء اللغة في استنباط القواعد وبناء المفاهيم النظرية. كما تعد المعالجة اللغوية لهذه المدونة أول معالجة علمية شاملة عند العرب، وهي المعالجة التي أحيطت في تراثنا بكثير من التبجيل والاحترام، الذي يتجلى أكثر ما يتجلى في ما تحفل به كتب النقد الأولى من مواقف يظهر فيها اللغوي صاحب سلطة مرجعية. فزيادة على الاحتذاء الذي تحدثنا عنه في المصادرة السابقة، وجدنا كثيرا من النقاد يجمعون، أو بالأحرى يضمون إلى اشتغالهم بعلوم اللغة، الاهتمام بالنقد، وربما زادوا على ذلك العلوم الدينية.[12] بدا في تراثنا النقدي، وكأن المدونة الشعرية ملك لأهل اللغة، وأن النقاد اشتغلوا عليها، وفق عقد يفرض عليهم مقاربات لا ينبغي بحال أن تتصادم مع مقررات علوم اللغة بشأن الشعر. تصنيف الشعراء، والمقاربة الشواهدية، والخطأ اللغوي، ثم الضرورة، وإهمال التأسيس المعرفي لمفاهيم كثيرة مثل اللفظ والمعنى، وحصر الاهتمام بالشعر موضوعا للنقد؛ كلها تشهد على أن المقاربة اللغوية لقضايا الشعر، نتجت عن هذه الملابسات التاريخية الخاصة بنمو وتطور المجتمع العربي سياسيا واجتماعيا وثقافيا.[13]

4- الشعر القديم شارحا للقرآن/ الزوج النموذجي الذي لا قبل لأحد بالنسج على منواله: حظي الشعر بكل هذا الاهتمام لدى النقاد، لكونه النموذج الأرقى للكلام الأدبي عند العرب، الذي عاصر القرآن الكريم، وخص بالتقديم ليكون محاورا له، ومحكا

يبرز فيه تفوقه وإعجازه، ثم جاءت مرحلة العلاقة الحميمية، حيث غدا الشعر خادما للقرآن يشرحه ويفسره، ويشهد طواعية بكل ما يراد له أن يشهد عليه، في التفسير، والأحكام، والعقيدة، والبلاغة والبيان. نشأ عن هذا التفاعل في مرحلة الإسلام الأولى زوج: القرآن/ الشعر الجاهلي، وهو الزوج النموذجي الذي لا قبل لأحد بالنسج على منواله. بالنسبة للقرآن: الحقيقة عقيدية نطق بها القرآن. أما بالنسبة للشعر، فهي ثقافية، اكتسبها من الظرفية التي فرضت حوار النص الشعري الجاهلي مع النص القرآني ، كما أسلفنا. في عبارة موجزة: النص الشعري شاهد عيان على الإعجاز القرآني، وهو أيضا الشاهد الخبير، لأن كلا النصين معترف ببلاغته. (14) لا يسمح إذن بعد ذلك، في المراحل التالية أن يمس النموذج بسوء. لا يمكن بحال أن تهتز صورة الشاهد، وأن يداخلنا أدنى شك في مصداقيته. هكذا فهم النقاد الفقهاء اللغويون المسألة، فلم يدخروا جهدا في تثبيتها وتكريسها وتأبيدها. لا نتحدث عنهم هنا أفرادا، وإنما ضمن مفهوم المؤسسة، ومفهوم هيمنة الأنساق الثقافية بعضها على بعض. لا ننسى هنا مقولة بورديو: الإذن بالكلام في المقام الاجتماعي .

5- النشأة المشتركة لعلوم اللغة والنقد: شغلت النخب المثقفة في مرحلة الإسلام الأولى، قضايا تلقي القرآن المتصلة بمختلف مناحي الحياة التي كان للإسلام بها اهتمام. وضغط عليهم ضيق الفسحة الزمنية المتاحة لهم، وهم المطالبون ببناء مشروع ثقافي، يوازي توسع الإمبراطورية الإسلامية، وما شهدته من تفاعل كثيف ومركب للثقافات. ولما كان العرب، لا يملكون أي تراث معرفي مدون، وأي معارف منظمة، مضبوطة الأصول والمناهج، محددة الموضوعات، فقد وقع في البداية على عاتق النخب أن يعالجوا كثيرا من القضايا متعجلين، فكان أن اختلطت مباحث النحو مع البلاغة، ثم مباحث البلاغة مع النقد، ثم احتار العرب في التعاطي مع علم الكلام، ثم زادت حيرتهم في التعاطي مع الفلسفة. (15) المشهد الذي نحاول رسمه هنا، هو ما نجده في تراثنا العربي من جور التخصصات بعضها على بعض، وابتعادها عن التفاعل المغني للبحث المعرفي النزيه والمخلص. عندما نتأمل الصراعات الفكرية التي عاشها أسلافنا، والتي انتهت غالبا لصالح التيارات الكابحة لحركة التطور، ونستحضر مآلاتها، يتبين لنا كم أهدرنا من جهود، كانت ستدفعنا لتحقيق إنجازات باهرة. أقلها اليوم: ألا نختصم في التراث هذه الخصومة العصابية. نضرب مثالين من حقلين مختلفين؛ الأول: تحريم علم الكلام الذي أفضى إلى نكبة المعتزلة، ثم التراجع عن ذلك بتأسيس علم الكلام الأشعري. المثال الثاني: إصرار النقاد على عمود الشعر في صورته الصارمة، والمآل الذي عرفه بعد قرون على يد عبد القاهر، الذي فككه تفكيكا لم يبق له على أثر.

6- تكوين النقاد الثقافي ووظائفهم: يسعفنا كثيرا في تقييم جهد النقاد ومنجزاتهم، استحضار تكوينهم الثقافي، والمجال التخصصي الذي غلب عليهم. وما من شك في أن ذلك لا يمكن إغفاله في المقاربة العلمية المنفتحة على استثمار مفاهيم تحليل الخطاب والنقد الثقافي. فزيادة على تأثر النخب في كل زمان بالسائد من الطروحات، وخضوعهم لإملاءات المؤسسات الثقافية والسياسية والدينية، وتوجهاتها، وبرامجها، فإن العلم الواحد لا يستطيع الانفكاك من تأثير النصوص التي تفاعل معها، والتي قد تكون هي المحدد لتخصصه، وقناعاته، ورؤيته للعالم. فنقاد من أمثال ابن سلام، وابن قتيبة، والآمدي، والقاضي الجرجاني، وقدامة بن جعفر، وابن طباطبا، وغيرهم، لا ينبغي أن تقيّم جهودهم بعيدا عن هذه المؤثرات. والقراءة المتأنية لنصوصهم تكشف لنا بوضوح مصادرهم المعرفية، كما أنها تحيل بدرجات متفاوتة من الإضمار إلى السياق الخارجي بمكوناته المختلفة، فلا يكاد يخفى فيها ما يترجّع من أصداء الأصوات التي تحاورها، وتتفاعل معها تفاعل تدافع، أوتفاعل تعاضد. (16) وعلى سبيل الافتراض الأولي، الذي قد يكون مفيدا في عملية فرز النقاد على أساس استفادتهم من التفاعل مع الحقول المعرفية المجاورة لحقل النقد، يمكننا القول أن النقاد المتأثرين بعلم الكلام والفلسفة، وذوي التخصص في حقل البلاغة، كانوا هم أصحاب الطروحات النظرية، والإنجازات التطبيقية الأكثر نضجا، والأكثر تأثيرا في مسيرة النقد العربي القديم. تحضرنا أسماء الجاحظ، وابن طباطبا، وقدامة ابن جعفر، وابن المعتز، والقاضي الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني، ولنا إليها عود لاحقا.

أولا: النحو هو المحضن الأول للنقد: ألمحنا فيما تقدم من مصادرات عامة وخاصة، إلى أن اتكاء الناقد على مخرجات علوم اللغة ونتائج أبحاثها، مسألة لا ضير فيها من الناحية النظرية، غير أن الذي حصل تاريخيا، هو أن النقد العربي القديم ارتهن للمقاربات اللغوية ارتهانا، حال دون أن يحقق ما ينبغي له من الاستقلال، بوصفه حقلا تخصصيا، له موضوعه الخاص به، وأصوله التي ينبغي أن تتكيف مع موضوع التخصص، بحسب ما يهدف إليه من غايات، وما يؤديه من وظائف. فإذا كانت علوم اللغة تدرس الكلام مطلقا، فإن النقد يقصر اهتمامه على نوع معين منه، هو الكلام الأدبي. يلزم عن اختلاف الموضوع بطبيعة الحال اختلاف في القواعد والمفاهيم ومناهج الدراسة، وغير ذلك من أدوات البحث وآلياته. والحق أن حال النقد من حال الحقول المعرفية المختلفة التي واجهت معضلة الاستقلال عن غيرها، بسبب

تعارض رهانين واجها الثقافة العربية في مرحلة نشأتها؛ أولهما ضرورة بناء المعارف والعلوم التي كانت مفقودة عند العرب، للإجابة عن أسئلة الحقول التخصصية التي كانت تلح على التمايز والاستقلال، والآخر تهيب الأخذ من الآخر الأجنبي، بسبب مخاوف عقيدية، واستعلاء ورثّه التفوق العسكري وفتح الأمصار بوتيرة متسارعة.[17]

أنشأ العرب علومهم الأولى الدينية واللغوية، وفتنوا بها، فتنتهم بلغتهم التي نزل بها الكتاب المعجز، فانتقل التقديس في لا وعيهم من النص القرآني المقدس، إلى كل ما له به صلة؛ اللغة وعلومها، والشعر القديم بقدر ما يشهد على صحة لغة القرآن وإعجازها.

في المرويات الأولى لنقد الشعر، رغم أنه لا يعتد بها في التأريخ لنشأة النقد كحقل تخصصي، لا نجد انشغالا أقوى من الانشغال بأساسيات اللغة، في المعجم والتركيب، والاستعمال القياسي، وأحيانا قليلة المواضعات الاجتماعية.[18]* ومع ذلك يبقى سؤال كبير يحيط بهذه المرويات وموثوقيتها، خاصة ما تعلق فيها بتعليل الأحكام النقدية.

وإذا بحثنا للنقد العربي عن بداية حقيقية، تقترن فيها الممارسة النقدية بخلفية علومية واضحة ولها وجود مؤكد، كان علينا أن نستحضر نقود أوائل النحاة واللغويين، الذين ركزوا كل اهتمامهم على رصد الخطأ اللغوي وتشديد النكير على من يرتكبه من الشعراء، قبل التحول إلى التماس الأعذار لهم بالتوهم، أو الحمل على التشبيه، أو التوجيه، وانتهاء بتأسيس مفهوم الضرورة على يد سيبويه.[19]

والحق أن هذا النقد الصارم الاختزالي المتشدد لم يكن شرا مطلقا، لأن من آثاره الجانبية التي أفادت حركة النقد كثيرا، ذلك الصراع الذي نشب بين الشعراء واللغويين، وفرض على المعنيين جميعا أن يعيدوا النظر في مسلمات النقد اللغوي، وأن يراجعوها، فيخرجوا من القول بالخطأ اللغوي إلى القول بالضرورة، وإن ظل النحاة وبعض النقاد إلى زمن متأخر يتبنون أكثر الآراء تشددا في مسألة الضرورة.[20]

غير أن التراكم المعرفي في حقل المعرفة اللغوية، وتوالي استقلال العلوم وانفصالها عن الكتلة السديمية الأولى التي كانت تجمع كل المعرفة التي تيسر للعرب الاهتداء إليها، مكّن من تخفيف وطأة العلوم اللغوية الأولى على النقد. فبظهور علم البلاغة من خلال التآليف الأولى لأقطابه المعروفين، كابن المعتز والجاحظ، وجد النقد حليفا جديدا يطمئن إليه، على الأقل فيما يتعلق بضمان عدم إهدار القيمة الفنية الجمالية للشعر، والتوجه إلى الاشتغال بالعمق على حساب السطح.

والحق أن هذا لم يتحقق دفعة واحدة وبالمقادير الكافية في كتب النقد الأولى خاصة، ففي طيّاتها كانت سلطة اللغوي لا تزال قوية، إذ بالرجوع إلى هذه الكتب، يستوقفنا الحضور الطاغي للمرجعية اللغوية، ممثلة في سلطة المعجم والنحو خاصة. ولا أدل على عسر عملية التحول وتعقّدها من أننا نجد ناقدا مثل القاضي الجرجاني، وهو من نقاد القرن الرابع، يخصص قسما كبيرا من الوساطة لمعالجة قضايا المعجم والتركيب النحوي، وسواها.[21]

ولم تنته هذه الخصومة بين النحو والبلاغة وتنازعها على الوصاية على النقد إلا على يد عبد القاهر الجرجاني، في كتابيه الدلائل والإعجاز، حيث قدم رؤية متكاملة قامت على إدراك كلي لتراتب المستويات اللغوية الأربعة، في استباق على قدر كبير من النضج لمفاهيم لسانية وأسلوبية، لم تتبلور في صورها النهائية إلا في العصر الحديث، كمفهوم النحوية واللانحوية الذي اجترحه تشومسكي، أو مفهوم محوري التركيب والاستبدال كما تصوره جاكبسون، أومفهوم التغريب عند الشكلانيين الروس، وغيرها من المفاهيم. وإذا كان لابد من خلاصة هنا قبل تقديم نماذج من مقولات اللغويين التي رحلت إلى ساحة النقد، فهي التنبيه إلى قيمة منجز الجرجاني التي نعلّقها تحديدا بفكرة دمج النحو والبلاغة في علم للسان يحيط بظواهر اللغة جميعها، ويتجنب القسر في إسقاط أحكام مستوى على المستويات الأخرى.[22]

مقولات النحو المرحلة إلى ساحة النقد: سبق لنا في المقدمات الإشارة إلى احتذاء النقد للنحو، وتبنّيه لكثير من مقولاته، بسبب ما أسميناه الأسبقية والاضطرار التاريخي. والمقولات موضوع الحديث هنا ليست فرعية أو هامشية، بل إنها تشكل أصول النظر النقدي ودعاماته الأساسية، وهي فوق ذلك تتصل بالجانبين المفهومي والإجرائي، وتوجهما توجيها يكاد يكون كليا وحصريا، خاصة في أطروحات النقد الأولى في القرنين الثالث والرابع الهجريين. وعلى سبيل المثال، لا الحصر، لا يخفى على مهتم بتاريخ النقد وقضاياه، مركزية تصور مثل تكريس النموذج الشعري الجاهلي، الذي أفرز مقولة تصنيف الشعراء، وما يتصل بها من معيار الاحتجاج اللغوي. كما لا يفوت المهتم أن يقف باستمرار على تتبع أخطاء الشعراء اللغوية، وهو يفحص مدونات النقد النظري والتطبيقي، تلك الأخطاء التي استهلكت جهدا ضخما في رصدها وإحصائها وتصنيفها، ووضع التقنينات لها على امتداد قرون من الزمن، في كتب الضرورة الشعرية، والتي تردد صداها قويا في كتب النقد. يضاف إلى ما تقدم إهمال النقاد التأسيس المعرفي لمفاهيمهم، وتبنيهم للمرجعية اللغوية في تعريف عديد المصطلحات، كمصطلحي اللفظ والمعنى، على ما لهما من

الأهمية المركزية في ضبط كل المفاهيم التي يتعاملون بها مع النصوص التي يعالجونها.

ويشمل الاحتذاء أيضا الجانب الإجرائي، فمعظم النقد الذي أنتجه القدماء يعتمد الإجراء التحليلي الموضعي الجزئي، كالذي يقوم به النحوي أو اللغوي، فنرى الناقد يتناول بالتحليل الأبيات المفردة، لا القصائد كاملة، فهو إما واقف على ضرورة شعرية، أو مهتم باستخدام لغوي معجمي، أو محلل لصورة بيانية أو محسن بديعي، وإذا ذكرت القصائد أو المقطعات، فمعالجتها لا تأخذ شكل التحليل المفصل المتدرج، القائم على رؤية فنية ناضجة.

وأصل الأصول فيما نحن بصدده من تمثيل لاحتذاء النقد بعلوم اللغة، هو تعريف الشعر الذي ظل على امتداد قرون من الزمن، يركز على المكونات اللغوية، ولا يتعداها إلى العناصر الجمالية الفارقة في تمييز الشعر عن غيره. والأعم من هذا كله، وهذا محل إجماع، هو أن النقد الذي يفترض أن يهتم بكل الفنون الأدبية، نثرية كانت أو شعرية، لم يكن يملك من أمر نفسه شيئا، فكما اتخذ النحو الشعر مدونة له، جاء النقد واتبعه، فلم يهتم إلا بالشعر. وهذا ربما ما يفسر في الجملة، كون نظرية النقد القديم عند العرب، كانت نظرية للشعر دون سواه من فنون الأدب.

أطلقنا الأحكام أعلاه مجملة، ولا بد في مثل مقامنا من التفصيل والتعليل، والاستدلال. وليكن البدء بمقولة النموذج الشعري. إن هذه المقولة تكرست في الدرس اللغوي عامة، والنحوي خاصة، حيث اقتضت عملية جمع اللغة وتدوينها، ثم تقعيدها، الاتجاه إلى ما يعتقد أنه يمثل اللغة العربية الصافية، البعيدة عن مؤثرات الحضارة الجديدة، وما حملته من اختلاط للألسن، وتفش للعجمة، وشيوع للحن. كان طبيعيا، وفقا لأهداف هذا المشروع، أن يصنف النحاة الشعراء إلى متقدمين(على الترتيب: جاهليين، ثم مخضرين، ثم إسلاميين)، ومحدثين، وهم مخضرمو الدولتين الأموية والعباسية، ومن جاء بعدهم.[23] ولما كانت لعلوم اللغة هذه الأسبقية، وكان لعملهم الذي أنجزوه دوافع دينية سياسية قوية، بدا وكأن هذا التصنيف منزّل من السماء. ولما كان أكثر النقاد الأوائل لا يجدون من علم متاح يتعلمونه في ذلك الزمن، زيادة على الرواية، سوى النحو واللغة، فإنهم لم يجدوا بدّا من اعتماد التصنيف الذي وضعه علماء اللغة، وأن يطبقّوه في مجال النقد. وهذا تحديدا عنوان هيمنة العلوم اللغوية على النقد في بداياته.

ولا يظنّن ظان أن هذا التصنيف انتهى أمره، وتم التخلص منه بعد ابن سلام الجمحي (ت232 هـ)، وأن ثورة قام بها النقاد بعده، بقيادة ابن قتيبة، أفضت إلى إنصاف الشعر المحدث، وأنهت إلى الأبد أسطورة النموذج الشعري الجاهلي. لا أبدا، فالذي حدث، وهذا تعيننا على إدراكه التحليلات المتأنية للنصوص، هو اعتراف مشروط بالشعر المحدث، يلتزم الشعراء المحدثون بموجبه، باتباع تقاليد الشعر القديم. ويتضح هذا الذي نقول في مقارنة شاهدين لابن قتيبة. يقول في الأول مقررا باطمئنان مبدأ التسوية:" ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ بها قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره، وكل شرف خارجية في أولّه، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين..."[24]، ثم لا يجد حرجا في أن يدعو الشاعر المحدث إلى أن يكون وفيا للنموذج الشعري القديم. تأمل قوله:" وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيّد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل أو يصفها لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد على المياه العِذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة"[25] والحق أن هيمنة النموذج القديم، وعجز النقاد عن الفصل في قضيته، يتردد صداه في أول صرخة سمعناها من ناقد يعترض فيها على أوهام النموذج. ونعني هنا القاضي الجرجاني، الذي استهل كتابه بما سماه أغلاط الشعراء، مبتدئا بذكر أخطاء الجاهليين. يقول:" ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه؛ إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهل الجاهلية جُدّوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية ... ".[26] والذي يهمنا أكثر في هذا الشاهد، هو وقوف صاحبه على علة هيمنة المقاربة اللغوية، بتأكيده على أن فكرة النموذجية مرتبطة بالاحتجاج اللغوي، أي بمقولة مرحلة من حقل علوم اللغة إلى ساحة النقد.

المقولة الثانية التي أدرجناها ضمن ما يستدل به على هيمنة العلوم اللغوية على النقد، هي مقولة الخطأ اللغوي، التي طوّرت فيما بعد إلى مقولة"الضرورة الشعرية". وهذه المقولة من التصدر والبروز في المدونة النقدية، بحيث لا تحتاج كبير عناء إلى إثباتها. فقد مثّل الحديث عن الخطأ اللغوي أول ممارسة نقدية معللة في تاريخ النقد عند العرب.[27] والأمر هنا أيضا طبيعي، لولا أنه استمر في الزمن وأُبّد، فاعتماد الناقد على مفاهيم اللغة وقواعدها، مسلمة لا يكاد يختلف فيها اثنان، خاصة إذا كانت هذه المفاهيم هي كل

المعرفة المتاحة أمامه. وهذا تحديدا ما حصل مع أوائل النحاة الذي وجدوا أنفسهم وحيدين في ساحة النقد المعلل، فادّعوا وصاية على الشعر، ليست لهم، فحملوا على الشعراء، وشنعوا عليهم، قبل أن يسلكوا سبيل المرونة واللين معهم، فيعتذروا لهم بالتوهم، ويلتمسوا لهم مخارج بالتأويل والحمل والتوجيه. [28] لكن اللافت هنا، أي في مقاربة النحاة للخطأ اللغوي في الشعر، هو النزوع إلى التشدد عند اللاحقين. كانت معضلة، وظلت معضلة، حتى في حقل النحو، وبين النحاة، فبين ما أسس له سيبويه، متبعا أستاذه الخليل، في اعتبار الضرورة وجها من وجوه التعبير... " وليس شيء يضطرون إليه، إلا وهم يحاولون به وجها"[29] وبين الزاوية الضيقة التي حشرها فيها نحاة ولغويون متشددون، كابن فارس، والمبرد، وأبو علي الفارسي، وغيرهم، ترتسم لنا صورة السلطة التي كان النحاة يتمتعون بها في حقل الثقافة العربية، بوصفهم أمناء على لغة القرآن. كما يظهر لنا بوضوح أن انتصار التشدد في حقل النحو، لم يكن ليترك النقد بعيدا عن هيمنة المقاربات اللغوية "السطحية".

إذا تركنا كتب النحو، بما فيها كتب الضرورات، ورحنا نبحث عن تأثير مقولة الخطأ اللغوي/ الضرورة الشعرية، في كتب النقد، وجدنا أن النقاد، بحكم الاعتبارات الكثيرة التي ذكرناها سابقا، لم يكن اهتمامهم ينصرف إلى أبعد من فحص الاستعمالات اللغوية للشعراء، ومدى التزامهم بالقياس فيها، سواء تعلق الأمر بالمعجم، أو بالصوت(الفصاحة)، أو بالتركيب، زيادة بطبيعة الحال على المجاز الذي أخذ الاهتمام به يتزايد اطرادا مع تطور علم البلاغة، وإن كانت المقاربة هنا أيضا قائمة على القياس.

يكثر الآمدي من مساءلة أبي تمام على الأخطاء اللغوية الراجعة إلى المعجم والتركيب. ومن ذلك على سبيل التمثيل، ما نقرأه أولا في فهرس موضوعات الكتاب:" ما غلط فيه أبوتمام من المعاني والألفاظ وأنكره عليه أحمد بن عبيد الله ابن مُحَمَّد بن عمار(ص141) ـــ أخطاء أبي تمام في المعاني والألفاظ(ص157)

ـــ الجزء الثالث في الرذل من ألفاظ أبي تمام والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه(ص259) ـــ باب في سوء نسجه وتعقيده ووحشي ألفاظه (ص293) ـــ ما أخطأ فيه البحتري من المعاني (ص371) [30]"

وللتفصيل نستعرض نموذجا من هذه الملاحظات اللغوية:"وأنا أذكر في هذا الجزء الرذل من ألفاظه، والساقط من معانيه، والقبيح من استعاراته، والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه، على ما رأيت [المتذاكرين بأشعار] المتأخرين يتذاكرونه، وينعونه عليه ويعيبونه[به] وعلى أني وجدت لبعض ذلك نظائر في أشعار المتقدمين فعلمت أنه بذلك اغتر، وعليه في العذر اعتمد؛ طلبا منه للإغراب والإبداع، وميلا إلى وحشي المعاني والألفاظ." [31]

وإذا انتقلنا إلى كتاب آخر في النقد التطبيقي، وجدنا شواهد وافرة على النقد اللغوي المتصل بالخطأ اللغوي، والضرورة الشعرية، والكتاب المقصود هنا، هو الوساطة. في الفهرس نقرأ العناوين التالية:"

ـ أغاليط الشعراء (ص14) ـ بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء (ص17) ـ احتجاج النحاة (ص18) ـ عود إلى أغاليط الشعراء (ص18) ـ اللحن في شعر أبي نواس (ص61) ـ معنى الأيم لغة وشرعا (ص75) ـ كثرة استعماله لاسم الإشارة (ص88) ـ التعقيد في شعره (ص 90) ـ من مآخذ العلماء على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه(ص360) ـ ما عاب العلماء على أبي الطيب(ص366) "[32]

ولضرب المثال التفصيلي، نقترح تحليل النموذج التالي:" وقلت: وهو أكثر الشعراء استعمالا لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر، دالة على التكلف، وربما وافقت موضعا يليق بها، فاكتست قبولا؛ فأما في مثل قوله في هذين البيتين: "ومن حق ذا الشريف عليك"؛ و"في وقتك ذا"(...) " فهو ـ كما تراه ـ سخافة وضعفا، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكره من هذه الإشارة؛ وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفا، والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة، أو على سبيل الغلط والفلتة." [33]

المقولة الثالثة التي يظهر فيها بوضوح أيضا، ارتهان النقد لمقولات العلوم اللغوية، والنحو تحديدا، هي مقولة اللفظ والمعنى، إذ لم يحفل النقاد بضبط ما يحيل إليه هذان المصطلحان، اللذان تم التعامل معهما، وكأنهما من وضوح الدلالة، ودقة الإحالة، بحيث لا يستدعيان أي جهد تنظيري، يضبط مدلولهما، ويؤطر إحالتهما. والناظر في الدلالات التي حملها هذا المصطلحان في التواردات المتضمنة في مواضع النقد التطبيقي، يكتشف بيسر، كيف تتعدد دلالاتهما، وتتعارض أحيانا، ويصل الأمر إلى حد التناقض والتعمية في استعمالهما. وإنما نتج ذلك كله، من أن النقاد اكتفوا بالاقتراض السهل، من علوم اللغة، وزاد من تمكن هذه العادة فيهم، أن تكوينهم المعرفي، كان في البدايات، معتمدا اعتمادا كليا، على ما يتقرر في حقل العلوم اللغوية، وعلى رأسها النحو.

ولقد نبه مصطفى ناصف إلى ذلك وأدرجه ضمن ما يمكن أن نسميه"هشاشة التأسيس المعرفي للمصطلحات النقدية". يقول في ذلك: ""...قد استعمل كلمة اللفظ والألفاظ استعمالا شائعا، وكثرت فيه العبارات الغامضة. في النقد العربي لمحات شاردة،

ولكنه خال من التحليل والتفصيل الذي يتضح في النحو العربي. هناك في النقد الأدبي معان مبهمة على حين يتحدد المعنى المراد في النحو والفقه وتفسير النص القرآني. وينبغي أن تواجه مشكلة العبارات الغامضة في النقد العربي بصبر أكبر. ونحن –عموما- نتخلص من هذه المشكلة حين نضفي عليها من ثقافتنا الحديثة. ولكن الطريق الأكثر أمنا هو أن يفهم النقد العربي القديم في ضوء دراسات تختلف عنه، ولكنها ربما تلقي عليه ضوءا كبيرا مثل النحو والفقه وتفسير القرآن الكريم"[34].

والملاحظة من وجهة نظري دقيقة وصائبة. فإذا استعرضنا تواردات مصطلح "المعنى" منفصلا، أو ضمن الزوج"لفظ/ معنى" وجدنا قصورا يكاد ينزل بالتصور النقدي لهما دون ما تقرر واعتمد في النحو وعلم الأصول. انظر إلى ما فهمه ابن قتيبة في تقسيمه الرباعي من مصطلح"المعنى" للشعر، فهو حين يقول:"وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى..." [35] يريد بالمعنى الموضوع، والحكمة، والمواضعة الأخلاقية، ولا يريد به المعنى مجردا من الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية. وهو دون شك لا يريد به المعنى الناتج عن علاقة الدال والمدلول، المتولدة عن عملية التواصل. وتأمل أيضا ما درج عليه النقاد قبل عبد القاهر الجرجاني من النظر إلى المعنى بوصفه عنصرا مستقلا عن اللفظ موجودا وجودا سابقا، موصوفا بالكم المحدود الذي لا مجال للزيادة عليه. نقرأ مثلا في عيار الشعر قول ابن طباطبا يحلل محنة الشعر المحدث:" والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة. فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربي عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول"[36].

ويغيب عن النقاد بسبب هذا الارتهان للمقاربة اللغوية، وإهمال تأسيس المصطلحات معرفيا، أن يميزوا بين المعنى النثري والمعنى الشعري، ولا يخطر ببالهم رغم الحدوس التي عبر عنها الشعراء، أن هناك ظلالا للمعنى، وإيحاءات، ومعاني حافة، وصور للمعنى متعددة متنوعة، كما اهتدى إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني. لم يجد ابن طباطبا حرجا في أن يسوي بين المعنى النثري والمعنى الشعري، حين ذهب إلى الزعم بأن الشاعر إذا أراد "بناء القصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا" " [37] ، وأن" للشعر فصولا كفصول الرسائل" [38]، وأن" الشعر رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول " [39]

وكذلك كان حال النقاد حين ادعوا على الشعراء السرقة لمجرد اشتراك في المعاني المتداولة، أو المعاني الجمهورية كما سماها حازم. يعلق أحد المعاصرين قائلا:" وهذا موقف عقلي لا يميز بين الشعر والنثر إلا بالوزن وإلا فكيف تولد القصيدة في ذهن الشاعر نثرا ثم ينظمها وهل سمع ابن طباطبا عن امرئ القيس مثلا أنه كان يمخض المعنى في ذهنه نثرا وهل سمع مثل هذا عن غير امرئ القيس من كبار الشعراء . والحق إن صح مخض المعنى في الذهن نثرا فإنه لدى الشعراء الصغار الذين ليسوا بشعراء. إن الشاعر الحق لا يمخض المعنى نثرا في ذهنه، بل إنه إزاء تجربة لا يستطيع نقلها وتوصيلها إلى الآخرين إلا الشعر، فمنذ أن يطرق المعنى الشعري ذهن الشاعر الحق، لا يكون إلا شعرا" [40]

وهناك الكثير من القضايا التي أهملها النقاد، لأنهم آمنوا بأن النحو وعلوم اللغة أغنتهم عن بحثها، بل عن التفكير فيها. وإذا استثنينا منظومة التعاريف المتصلة بالشعر والشاعر، لم نجد في تنظيرات النقاد سوى أصداء المقولات اللغوية والنحوية في البدايات، ثم مقولات البلاغيين في المراحل التالية. يقودنا هذا الكلام إلى اقتراح فحص تحليلي لتعريف الشعر لتبين مدى استقلالية النقد في تصوره ووضعه. التعريف الذي استمر عبر قرون، مع تعديلات طفيفة من ناقد إلى آخر، هو:" الشعر كلام موزون مقفى، دال على معنى"، وهو التعريف الذي نجد خلافه عند الفلاسفة، ثم عند ناقد متأخر تأثر بالفلسفة، هو حازم القرطاجني. يكاد هذا التعريف ينطق تلقائيا بالخلفية المعرفية التي أنتجته، فالتركيز فيه باد، على العناصر اللغوية السطحية، في حين لا نجد في التعريف ما يدل على الفروق الفنية الجوهرية، وذكر المعنى في التعريف، لا يشفع له، طالما أن المعنى هنا لم يذكر مصحوبا بآلية إنتاجه في الشعر وهي التخييل. ومعروف أن أبسط المؤاخذات التي تساق بخصوص المعنى في هذا التعريف، هي القول بأن المنظومات التعليمية يصدق عليها هذا التعريف، ومع ذلك فهي ليست بشعر.

أما عناصر السطح الأخرى فهي نتاج ملاحظة علوم تهتم بسطح اللغة، أي بما يسمع ويبصر، فيقبل القياس تكميما، ويقبل الملاحظة، وعلى رأس هذه العلوم بطبيعة الحال النحو.

نختم هذا المبحث بملاحظة عامة، قد تبدو فاقدة للوجاهة مقارنة بما تقدم، ولكن لا بأس بطرحها للنقاش في هذا المقام. الملاحظة ترتبط باقتصار النقد العربي القديم على الشعر دون النثر، رغم أن فنون النثر سلكت مسار تطوريا، لا يختلف عن الشعر إلا قليلا، بل إن تطورها في العصر العباسي تجاوز الشعر في عدة مستويات؛ في تعدد الفنون، وتنوع أساليبها، وفي تعدد موضوعاتها، وفي اغتنائها بالمضامين المعرفية المتنوعة، فضلا عما أصبحت تمثله الكتابة النثرية العملية من وظيفة حيوية في مناحي الحياة المختلفة. ألا نستطيع أن نعتبر ذلك نتاج مقولة من مقولات العلوم اللغوية، التي حصرت اهتمامها في الشعر، فجاء النقد

وحاكاها، فاقتصر على التنظير للشعر وتحليله، دون أن يلتفت بعنايته لذلك الكم الضخم من الإنتاج الأدبي النثري الذي لا يعوزه الازدهاء بجماليات تضاهي أحيانا جماليات الشعر. ألم تكن رسالة التربيع والتدوير غاية في الإبداع الجمالي الذي يسامق أروع قصائد الهجاء، كما يرى طه حسين.[41]

ثانيا:البلاغة وازدهار النقد

يكاد يكون من المسلمات في عرف الدارسين المعاصرين المهتمين بالتراث، القول بالنشأة المشتركة للبلاغة والنقد، واختلاط مباحثها ردحا طويلا من الزمن، قبل أن تستقل البلاغة عن النقد، والنقد عن البلاغة، بعد عبد القاهر الجرجاني. وظاهرة من هذا النوع غير مستغربة في تاريخ الثقافة العربية، فقد شهدت مرحلة تأسيس العلوم والمعارف اختلاطا شديدا للمباحث، بحيث أننا نجد مباحث نحوية في كتب غلبت عليها الاهتمامات البلاغية، ونجد مباحث لغوية في كتب التفسير وعلم الأصول، بيد أن تداخل مباحث البلاغة مع مباحث النقد واستمرارها في الزمن تحتاج منا شيئا من التحليل، لتفسير أسباب التداخل الذي كان ميسورا، متصفا بنوع من طواعية التفاعل، وسهولة الانتقال من البلاغة إلى النقد ومن النقد إلى البلاغة، زيادة على استمرار هذا التداخل في الزمن لفترة استغرقت ثلاثة قرون على الأقل.

هناك أولا التفسير الإبستمولوجي، فالحقلان متجاوران أشد التجاور، من حيث تخصصهما، فالبلاغة باتجاهها إلى بحث موضوع إنتاج المعنى وكيفياته، وقياس درجة التوفيق في ذلك، وتقنين طرق التصرف في بنية اللغة المحققة لذلك، أهلها لتكون في تاريخ الثقافة العربية المرجعية الأولى للنقد، بما هو فحص لمنجزات الشعراء، وقياس جودة أدائهم الفني المنتج للمعنى، بواسطة التصرف المخصوص في ممكنات النظام اللغوي. يقول العمري:"إن النقد هو الذي اهتم مبكرا بتعريف الشعر مركزا على العنصر البارز فيه(...). ولكن سؤال الخصوصية الذي أثاره النحاة في تعريف الضرورة الشعرية ظل يمثل مركز السؤال البلاغي، ولم يغن التعريف النقدي السابق نفعا في الجواب عنه، إذا لم يلتفت إليه. إن التباس البلاغة بالنقد الأدبي التباس لا انفصام له. وليس هذا الأمر خاصا بالأدب القديم بل يمكن ملاحظته بسهولة من تتبع الألقاب التي حملها مجموعة من كبار النقاد المحدثين" [42]. هذا التجاور المعرفي أتاح للبلاغي، أن يمارس النقد واعيا أو غير واع، وهو بصدد امتحان ما انتهى إليه من استنتاجات، واستنباطات، من خلال ضرب المثال والمثال المضاد المأخوذين من المدونة الشعرية. وهذا ما حصل تاريخيا تحديدا في التراث العربي القديم، إذ هيأ ارتهان النقد للنحو في البداية، المجال لتنتقل الوصاية المرجعية المعرفية منه إلى البلاغة، في نوع من البحث عن تجاوز مآزق العلاقة الأولى، والتي تمظهرت أكثر ما تمظهرت في مشكلة"الضرورة الشعرية" [43].

أضف إلى ذلك أن النقد العربي في مرحلة ما قبل البلاغة، لم يكن قد راكم شيئا يعتد به في مجال المفاهيم، والمصطلحات، بل كان وظل يقترض ويتبنى ما يجده في الحقول المجاورة، وخاصة حقول العلوم اللغوية، كما بيناه سابقا. فكان السؤال إذا طرح في ساحة النقد أجاب عنه البلاغيون، ومثال ابن المعتز وكتابه "البديع"[44] خير شاهد على ذلك. وكان الناقد إذا طمح إلى بناء نظرية نقدية لم يجد بدا من أن يجعل عمدة ما يقدمه من مفاهيم، مأخوذا من إنتاج البلاغيين وأطروحاتهم، وخير مثال على ذلك، كتاب قدامة ابن جعفر"نقد الشعر"[45].

والأهم من هذين المثالين في الاستدلال على وصاية البلاغة التي تكاد تكون مطلقة على النقد، في مرحلة التداخل التي نحن بصدد وصفها، هو عبد القاهر الجرجاني، وانفراده بحل كثير من أزمات النقد، ضمن كتابيه البلاغيين"الدلائل" و"الإعجاز". ولنا رجعة إلى هذه النماذج الثلاثة فيما يلي.

أسئلة النقد وأجوبة البلاغة: نريد تحت هذا العنوان أن نتناول بشيء من التفصيل، الاستدلال على عمق التأثير الذي مارسته البلاغة على النقد، بل نزعم أن هذا التأثير بلغ الحد الذي يجعلنا نقول ودون الخشية من الوقوع في الخطأ، إن للبلاغة وصاية تكاد تكون مطلقة على النقد في مرحلة التداخل الممتدة من بداية القرن الثالث الهجري إلى القرن الخامس، وربما ما بعده، دون أن يحملنا ذلك على إنكار الذيول التي بقيت ملتصقة بمناظير النقد ومبادئه الكبرى، والتي ورثها من مرحلة وصاية النحو.

وجد الناقد نفسه في كثير من الأحيان، مضطرا ليجيب عن أسئلة تطرح عليه، ضمن اختصاصه، حول قضايا هي من صميم صنعة الشعر، المتعلقة بطرق أداء المعنى الشعري، مضطرا للاستعانة بمفاهيم البلاغة، إن كانت جاهزة، وإلا أوكل للبلاغي أن يجهز له هذه الإجابات. إن الاختراقات العظمى في مجال التنظير النقدي، هي تلك التي أنجزها البلاغيون، فقد رأينا الجاحظ - هو بلاغي أكثر منه ناقدا - يطرح مشكلة النقد المشرّد الذي لم يجد من يرعاه حق رعايته، حين يقول: "ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب. ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل.(...) ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى ألسنة حذّاق الشعراء أظهر"[46]

وأوضح في الاستدلال الذي نحن بصدده، موقف ابن المعتز الذي طرح سؤالا نقديا، أو طرح عليه، وهو :"سؤال البديع. أقديم هو أم جديد؟". وللإجابة عنه، وجد نفسه مضطرا ليقدم لنا أول مؤلف في البلاغة، هو كتابه "البديع"، بما حواه من تصنيفات للأساليب البلاغية التي استطاع أن يحصيها.(47)

لنا أن نتساءل هنا: لماذا لم يجب عن السؤال النقدي إجابة نقدية. بذرة الجواب نجدها في قول سابق لمصطفى ناصف، وهي أن النقاد لم يعنوا بتأسيس معرفي لأصول مناهجهم النقدية، بل نشأوا أو مردوا على أخذ الجاهز مما يتداوله جيرانهم من اللغويين والنحاة. فما الذي يمنعهم عندما ازدهر علم البلاغة، وهبت رياحه، أن يقترضوا منه؟ خاصة أن التجاور والتداخل بين مباحثها ومباحث النقد أشد، وأدعى إلى أن تكون المؤاخذة عليه أخف، والحرج أقل.

والصورة في كتاب قدامة ابن جعفر ليست على الضد من هذا، كما قد يتصور. فالناقد عزم على تأليف كتاب في النقد النظري، ولما انتهى منه تبين له أنه ألف كتابا أقرب نسبا إلى البلاغة منه إلى النقد. هنا أيضا كانت البلاغة ربما أكثر جموزية للإجابة عن سؤال التأليف النقدي، بحكم ما تحقق لها من تراكم معرفي. والتعليل الذي يمكننا الركون إليه، هو نفسه الذي قدمناه ونحن نتحدث عن كتاب البديع. أنّى للناقد أن يقدم مفاهيم نقدية خالصة النسب، وليس هناك تراكم معرفي خاص بحقل النقد. في كتاب قدامة أصح المفاهيم، هي المفاهيم البلاغية والعروضية. وحين يغامر قدامة ببحث قضايا أخرى، يخذله التأسيس المعرفي للمفاهيم، فيأتينا بالآراء الفطيرة. تأمل مثلا معالجته لقضية المعنى في الشعر، وكيف تفاوت فيها تنظيره مع تطبيقاته.

نقرأ في صدر كتاب قدامة ما يلي:"ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر، من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة للنجارة، والفضة للصياغة، وعلى الشاعر إذا شرع في أيّ معنى –كان- من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة" (48)

إن الذي يقرأ هذا الكلام يبتهج أيّما ابتهاج، لما يجاهر به هذا الناقد، ويُلقى في روعه أن قدامة بهذا الكلام الصريح الدقيق حطّم نهائيا خرافة ارتهان الشعر للأخلاق، التي حاول النقاد بكثير من التردد التخلص منها منذ أن أقرها الأصمعي في صورة ملاحظة وصفية، وهو ينقد شعر حسان. غير أن هذا المبدأ العظيم سيبقى يتيما في نص الكتاب، وأفق الانتظار الذي تفترض نظرية التلقي أن يخيب بما هو أكثر تبصرا، وأجرأ في التجاوز وخرق المعايير، إن أفق الانتظار هذا سيتكشف عن نكوص وتقهقر يرتد بنا إلى الممارسات النقدية المتقيدة أشد التقيد بالمعايير الأخلاقية. يحدث ذلك عندما يطلع القارئ على شواهد قدامة فلا يجد ضمنها شاهدا شعريا واحدا يمكن أن نصفه مضمونه بفحاشة المعنى، يثمّنه قدامة، أو يحلله تحليلا جماليا حياديا. بل أبعد من ذلك لا يجرؤ قدامة عند التطبيق على الغزل أن يقدّم شواهد شعرية راقية للغزل، ويفضل أن يأتي بأبيات غزلية يصف فيها الشاعر نفسه وأخلاقه التي ترضاها المرأة أكثر من وصفه للمرأة ذاتها ومحاسنها*. تأمل قوله معلقا على بيتين من شعر غزلي بارد:

"يود بأن يمسي سقيما لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسلُه
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتُحمد يوما عند ليلى شمائلُه

فهو من أحسن القول في الغزل، وذلك أن هذا الشاعر قد أبان في البيت الأول... وأبان في البيت الثاني عن إعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض لنفسه كونها على سجيتها الأولى، حتى احتاج إلى أن يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها، وهذه غاية المحبة..." (49)

والصورة الأغنى بالدلالات والحجج في سياق ما نحاوله من استدلال على ارتهان النقد للبلاغة، هي ما نجده في المنجز البلاغي للعلامة عبد القاهر الجرجاني. في حالة الجرجاني، وقفت البلاغة موقف الأستاذ من النقد، الذي بدا تلميذا يحتاج إلى مراجعة شاملة لكل الدروس التي تلقاها، ولم يستوعبها على مدى قرون من الزمن.

مع الجرجاني عالجت البلاغة المشكلات التي ظل النقاد يتخبطون في البحث عن حلول لها، وتمكنت من تجاوز المآزق التي وصل إليها النقد، ولم يستطع الفكاك منها، دائما بسبب العيب الجوهري الذي ظل يعاني منه، وهو العيب الذي يمكننا وصفه بعبارتين: إما أن نقول: عيب إهمال التأسيس المعرفي للقضايا والمفاهيم، أو نقول: عيب إساءة استلهام أطروحات العلوم المجاورة، من نحو، وبلاغة، وفلسفة، وعلم كلام. كأن النقد رضي أن يكون حقلا هامشيا، تتردد فيه أصداء الأنساق المعرفية المهيمنة، يتأثر بها، ولا يؤثر.

اختصم النقاد قبل الجرجاني حول قضايا عديدة، ولم ينتهوا فيها إلى نتيجة مرضية؛ اختصموا في ثنائية اللفظ والمعنى، وفي السرقات، وفي مركزية التشبيه وهامشية الاستعارة، وفي القدم والحداثة، وفي عمود الشعر، وفي كثير من القضايا المتصلة بهذه، أو المشابهة لها.

الحق أن جواب البلاغة الذي نطق به الجرجاني، لم يعدّ ليجيب عن هذه الأسئلة فقط. إنه الجواب العلمي الذي حقق إنجازين مهمين؛ الاستفادة المثالية من التراكم المعرفي وحسن استثماره، أولا، وإحداث القطيعة المعرفية الشاملة التي أنتجت رؤية معرفية رشحت كل علوم اللسان العربي لاستئناف مسيرتها التي كانت قد توقفت قبله، ثانيا.

ولما كان اهتمامنا في هذه المداخلة منصبا على تبيان ما أفاده النقد من الدرس البلاغي، وكيف كانت البلاغة الحبل الذي اعتصم به النقد لينجو من مآزقه الكبرى، يتعين علينا أن نجلي ذلك من خلال الملاحظات التالية:

ـ لا خصومة بين النحو والبلاغة: نكاد نقرأ في تضاعيف التنظير الجرجاني لمفهوم النظم استدراكا مهما على منجز العلوم اللغوية العربية، وما آلت إليه من تنازع للمفاهيم والموضوعات، وما شاع في سوحها من تنابز بالألقاب. جاء الجرجاني ليرسم حدود اختصاص النحو والبلاغة، ثم ليدلها على المنطقة التي يتقاطعان فيها، ويسلم فيها النحو الأمانة للبلاغة، وإن كان هناك من المعاصرين من يقول بأن منطقة التقاطع هذه، التي يشغلها علم المعاني، كان حريا بها أن تضم مبكرا لعلم النحو[50]، لأن مفاهيمها تتعلق بدراسة التوزيع التركيبي ودلالاته، في حين يعنى علم البلاغة بدراسة الإبدالات الدلالية على المستوى العمودي(محور الاختيار). وأيا كان الأمر، فقد تنبه الجرجاني لهذا الأمر، وعالجه معالجة العالم الحكيم، فقام بتوحيد علوم اللغة العربية، ليسهل على المشتغلين بها تنظيرا، أو تطبيقا، تصور القضايا، واقتراح المعالجات.

-وهم ثبات المعنى والغلو في الاتهام بالسرقة: استطاع الجرجاني من خلال مشروعه العلمي المتبصر، أن يحل معضلة الاشتباه في سرقة المعاني، والتي تسبب فيها اعتقاد السابقين عليه، بثباتها، ووجودها القبلي المنتهي، مما ساقهم إلى القول بسبق القدماء إلى المعاني، واستهلاكهم لها، ووقوع المتأخرين في محنة البحث المضني عن المعاني الجديدة، واضطرارهم إلى التحايل في إعادة إنتاج معاني القدماء، كما قال ابن طباطبا[51] وغيره.

اقترح الجرجاني تصوره المشهور للمعنى، عندما فرق بين المعنى، وصورة المعنى، ونهى عن اعتبار كثير من المعاني ملكية لأي من الشعراء، طالما أن لها مساسا بالمشترك من حياة الناس وثقافتهم، وعاداتهم وطقوسم المختلفة.[52]

-الاستعارة أعلى قيمة فنية من التشبيه: عاش النقاد والبلاغيون القدماء يرددون ترديد تسليم، أن التشبيه أصل، والاستعارة فرع، وأن للأول، المركزية، وللثانية الهامشية، ولما كان شرط إجادة التشبيه عندهم، هو المقاربة، وفقا لقول قدامة:" فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيهما، حتى يدني بهما إلى حال من الاتحاد." [53]، وقوله: " فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض." [54] فإن شرط إجادة الاستعارة، وضامن بقائها تابعة للتشبيه، هو المناسبة. اقرأ قول المرزوقي: "وعيار الاستعارة الذهن والفطنة، وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له" [55]

نظر الجرجاني إلى هذه القضية نظرة مختلفة، انبنت على وعيه بأن أهم خصيصة للتعبير الشعري، هي الغرابة،[56] وأن لاشيء يبرر رهن الشعر لمقولة "الوضوح" المُرتّلة من نسق المعرفة الدينية واللغوية، قال هذا وهو العلم الأشعري العقيدة، لإدراكه أن مقولة "مركزية التشبيه وهامشية الاستعارة" جنت على النقد أكثر مما جنت على الشعر، فقد ظلت تجارب الشعراء متقدمة بأشواط على تنظيرات النقاد وأحكامهم، وصراخهم الذي كان يرتد إليهم. والحق أن الجرجاني لم يكتف بتعديل التصورات الخاصة بالاستعارة، بل إنه أحدث ثورة أيضا في تصور ماهية التشبيه، وفاعليته التخييلية في التعبير الشعري، وهرمية تقييمه الفني حسب تدرجه في سلم الوضوح والغموض [57]. فكان أن قلبت المقولة رأسا على عقب عنده، فأصبحت: مركزية الاستعارة وهامشية التشبيه، وغدا أجود التشبيهات أقربها إلى الاستعارة. يقول جابر عصفور:" ولن نجد هذه النظرة إلى الاستعارة عند ابن طباطبا وقدامة والحاتمي والآمدي فحسب، بل نجدها عند غير هؤلاء من بلاغيي القرن الرابع ونقاده، أمثال الرماني والخطابي، وأبي الحسن الجرجاني، والعسكري، بل نجد هذه النظرة تستمر وتسود في القرن الخامس، يؤمن بها ابن رشيق وابن سنان، ويصدر عنها الباقلاني والمرزوقي، والشريف الرضي. ولم يحاول واحد من هؤلاء أن يناقش مناقشة جدية ما خلفه رجال القرن الرابع. إنه عبد القاهر الجرجاني، وحده، الذي يمثل الاستثناء لهذا الحكم." [58].

نكتفي بهذه الملاحظات الثلاث، فهي مغنية في الاستدلال على ما جناه النقد من فوائد، من علاقته بالبلاغة، في مرحلة نضجها على يد عبد القاهر الجرجاني. ولا نريد أن نفيض في أفضاله الكثيرة على النقد، المتمثلة في إبطاله لكثير من الترهات التي كانت سائدة في ساحة النقد قبله، كنموذجية الشعر القديم، وتعليق الأحكام بالأبيات المفردة، وإقصاء شعراء كثيرين من المنظومة الشواهدية ظلما وعدوانا، وإهمال آليات التحليل المنتجة، كالمقارنة، والمثال والمثال المضاد، والجمع بين التحليل اللغوي والتحليل الفني، والنظرة الشمولية للعلاقة العضوية

الموجودة بين الأساليب البلاغية، ومراجعة تحليلات السابقين، وغير ذلك كثير، مما لا يتسع المجال لذكره، بله التفصيل فيه.

خاتمة:

قادتنا سيرورة التحليل المتبناة في هذا البحث، إلى تأكيد الفرضية التي انطلقنا منها؛ وهي القول إن الخطاب النقدي القديم ارتهن في خلفيته المعرفية، وفي جل ما اعتمده من مقولات تأسيسية ومفاهيم نظرية وإجرائية، للمنجز النظري لعلمي النحو والبلاغة خاصة. فبعد أن حتّم عليه الاضطرار التاريخي أن يقبل بكل مقررات النحو الفكرية ومنطلقاته النظرية وتمشياته االتحليلية الإجرائية، متمثلة في العناية بالشعر دون النثر، وتكريس نموذجية القديم على حساب المحدث، واعتماد آليات التحليل الموضعي الشواهدي. بعد هذه المرحلة، لم يهتم النقاد بتأسيس حقلهم التخصصي المستقل، ولو بمقدار مناسب معقول، بل ألفيناهم – من خلال فحص المدونة االنقدية- يستسلمون لوصاية أخرى؛ هي وصاية البلاغة، إذ لم نجد مشكلة نقدية من المشاكل الكبرى تطرح، فيعالجها النقاد بعيدا عن الاستعانة بالبلاغة، أو يتركونها عالقة، حتى يعكف عليها البلاغيون على معالجتها، على نحو ما صنع العلامة عبد القاهر الجرجاني عندما تعرض لمعالجة المشكلات الكبرى في النقد، والتي عمرت قرونا مديدة، مثل: قضية اللفظ والمعنى، والسرقات الشعرية، ومركزية التشبيه وهامشية الاستعارة،ة وغيرها.

هوامش وإحالات:

1-Jean DUBOIS & al, dictionnaire de linguistique et de sciences du langage, expression-larousse-bordas; paris 1999, p 418

2- هذا ليس مقصورا على كتب النحو القديمة. أحدث كتاب اعتمد على المنظومة الشواهدية الأدبية هو كتاب النحوي البلجيكي غريفيس(ت1980): le bon usage، صدرت طبعته الأولى سنة1936، وطبعته السادسة عشر 2016. ورغم اعتراضات اللسانيين عليه، وتحوله إلى اعتماد الوصفية بدلا من المعيارية، فقد ظل وفيا لهذا الإجراء،. يقول:

"La grammaire normative a été souvent fondée, dans le passé sur des règles à priori. On a essayé, dans ce livre, de la fonder sur l'observation, plus spécialement du "bon usage", celui des personnes soucieuses de bien écrire et de bien parler"

MAURICE GREVISSE- ANDRE GOOSSE, 16e éd, de boeck supérieur, p13,14

3- تعدّد الحقول وتداخل الحقول أو تفاعلها يجد تجسيده الأفضل في انتقال الدراسات اللغوية من اللسانيات إلى علوم اللسان في العصر الحديث. وفي ازدهار العلوم العرفنية SCIENCES COGNITIVES

4- الإشارة هنا إلى الموقف المهيمن لرجال الدين خاصة، من علم الكلام، ثم من الفلسفة، ويكفي أن تستعرض عناوين الكتب التالية: السيوطي ، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام؛ تقي الدين بن تيمية نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، ابن قيم الجوزية : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ الشهرستاني الملل والنحل، البغدادي، الفرق بين الفرق؛ الغزالي، تهافت الفلاسفة؛ إلجام العوام عن علم الكلام. يكفي ذلك لندرك تجذر هذا الموقف، واستمرار تأثيره إلى يومنا هذا، في الحملة على المفكرين المتنورين، والذهاب إلى حد تكفيرهم، وكأننا في عصر أبي جعفر المنصور، أو المتوكل.

5- "في بلاد يونان لا تنفصل دراسة اللغة عن فلسفة اللغة(عند من جاؤوا قبل سقراط وعند أفلاطون وأرسطو والرواقيين) أو عن شرح النصوص الأدبية(مدرسة الإسكندرية). وخارج النقاشات العامة التي لم ينقطع حضورها في موضوع العلاقات القائمة بين اللغة والفكر، فإن الاتجاهين الكبيرين اللذين ازدهرت فيهما أبحاث أكثر التصاقا بالخبرة العملية هما علم الأثالة والصرف"(ديكرو، أوزوالد-شافار، جان ماري، ١٩٧٢و١٩٩٥، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، د ط، ترجمة عبد القادر المهيري– حمادي صمود، ٢٠١٠، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا للنشر، تونس ، ص95)

6- يكاد يقع إجماع بين المهتمين بالتراث النقدي، على ربط نشأة النقد عند العرب، بظهور التآليف الأولى، فإحسان عباس يعتبر الأصمعي بكتابيه"فحولة الشعراء" واختياره الشعري"الأصمعيات" باكورة التأليف النقدي عند العرب. (ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان،1983 ص15)، في حين يرى مُحَمَّد مندور أن أول كتاب نقدي، هو "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي. (ينظر النقد المنهجي، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص12).

7- تراجع مقدمة كتابه، حيث يكثر من الإحالة إلى أوائل النحاة واللغويين، مثل يونس بن حبيب، وأبي عمرو بن العلاء، يحي بن يعمر، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، وينظر أيضا تصنيفه للشعراء على أساس المعايير التي وضعها اللغويون.

8-يغالي بعض المعاصرين في تقييم أثر الفلسفة في المنجز النقدي لبعض أعلام النقد المتقدمين، كابن طباطبا، وقدامة، في حين لا تكشف القراءة المتأنية عن أثر عميق يعتد به. يستثنى في هذا المقام حازم القرطاجني الذي يرزت المادة الفلسفية في منجزه بوضوح، مفاهيميا خاصة.

9- ستعالج هذه القضايا في موضع لاحق من هذا البحث

10- سنوالي معالجة هذه القضايا في الصفحات التالية

11- نبّه إلى ذلك مصطفى ناصف. ينظر رأيه في موضع لاحق من هذا البحث

12- مثال ذلك: الأصمعي، وابن سلام، وابن قتيبة. ينظر تفصيل هذه المسألة في: جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية، ترجمة مبارك حنون وآخ ،ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1996، ص7 وما بعدها

13- مفهوم الأدب تتحكم فيه اعتبارات ترجع إلى هذه المجالات. (ينظر: العادل خضر، الأدب عند العرب، ط1، منشورات كلية الآداب منوبة، دار سحر للنشر، تونس2004، ص39 وما بعدها.

14- أدونيس، الثابت والمتحول، ج1، ط7، دار الساقي، بيروت،1994، ص203ـ 204

15- أبرز من يشهد على هذه المرحلة الجاحظ في مواجهته لدعاوى الشعوبية، مسلحا بثقافته المتنوعة التي اكتسبها من التفاعل مع المعارف المترجمة. تنظر آراؤه في"البيان والتبيين" و"الحيوان" و"الرسائل"

16- السياق التناصي بمستوييه؛ مستوى تناص المؤلف مع نفسه، وتناصه مع الآخرين، يكشف لنا مضمرات الخطاب الإيديولوجية التي تحكمت في مواقفه من القضايا المطروحة.

17- عبّر عن هذا الاستعلاء الجاحظ، رغم كونه عقلانيا متنورا، وجدناه يخاطب الموالي، في سياق ردّه على الشعوبية، هذا الخطاب:"وأي شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك، وهو يعلم أنه إنما صار شريفا بعتقك إياه" (رسالة في النابتة، ضمن رسائل الجاحظ، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، مكتبة الخانجي بمصر، دت، ص22)

18- الإشارة هنا خاصة إلى قصة تحكيم النابغة المشهورة.

* الإشارة هنا خاصة إلى قصة تحكيم النابغة المشهورة.

19- تنظر الشواهد المتصلة بذلك في:شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص25 وما بعدها

20- الانحراف عن سيبويه عند من جاؤوا بعده، بدرجات متفاوتة أطروحة يتبناها كثير من المعاصرين، الذي يذهبون إلى أن عمل سيبويه في وضع النحو العربي، تبنى مقاربة وصفية، وأن الذين جاؤوا بعده حولوا الدرس النحوي عنوة إلى المعيارية. ينظر على سبيل المثال: السيد إبراهيم مُحَمَّد، الضرورة الشعرية دراسة أسلوبية، ط3، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، ص29 وما بعدها

21- مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب (م.س)، ص375

22- ينظر تفصيل ذلك، مثلا في: مُحَمَّد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني،ط1، مكتبة لبنان ناشرون ـ الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، بيروت ـ القاهرة، 1995

23- ينظر أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب،ط6، عالم الكتب، القاهرة،1988، ص46 ـ 49

24- الشعر والشعراء، ج1، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، ط2، دار المعارف، القاهرة،1958 ص63

25- نفسه، ص76 ــ 77

26- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ومُحَمَّد علي البجاوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص14

27- ينظر أحمد طه إبراهيم، النقد الأدبي عند العرب، د ط، دار الحكمة، بيروت، 1937، ص52 وما بعدها

28- كما فعل الخليل، وعيسى بن عمر الثقفي (ينظر:شوقي ضيف، المدارس النحوية، م. س، ص45-46، 25)

29- سيبويه، الكتاب،ج1، ط3، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، مطبعة مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص32

30- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ج1، تحقيق السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف، القاهرة،1992، فهرس الموضوعات

31- نفسه، ص259

32- الوساطة، م.س، فهرس الموضوعات

33- نفسه، ص80ــ 90

34- مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، د ط، دار الأندلس، بيروت-لبنان، دت، ص8

35- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، م.س، ص66

36- ابن طباطبا،عيار الشعر، شرح وتحقيق،عباس عبد الساتر، ط 1، الدار العلمية للكتب،بيروت-لبنان 1982، ص14

37- نفسه، ص11

38- نفسه، ص12

39- نفسه، ص81

40- سعيد عدنان، الاتجاهات الفلسفية في النقد الأدبي عند العرب في العصر العباسي، ط1، دار الرائد العربي، بيروت، 1987، ص5

41- طه حسين، من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت-لبنان 1973))، ص547

42- مُحَمَّد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د ط، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص42

43- نفسه، ص117 ــ 135

44- يقول ابن المعتز:"قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه..."(كتاب البديع، تحقيق عرفان مطرجي، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 2012 ص9)

45- معظم مادة هذا الكتاب من مفاهيم البلاغة. ينظر فهرس الكتاب(م. س)، يقول مُحَمَّد مندور في تأكيد هذه الملاحظة: "والناظر في كتاب قدامة (275 ــ 337) يجد الاتجاه البلاغي الشكلي الذي انتهى بذلك العلم إلى التحجر. وتأليف هذا الكتاب في ذاته هو بناء هيكل منطقي، تصوره قدامة بعقله المجرد . ولقد جارى قدامة هذا العقل الشكلي إلى نهاية شوطه" (مُحَمَّد مندور، م.س، ص67ــ68)

46- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، جـ4، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة،1998 ، ص24

47- نبّه ابن المعتز إلى أنه لم يستقص فنون البديع، وأن عمله قابل للإثراء والتعديل(كتاب البديع، م.س، ص 12 ــ13)

48- نقد الشعر، تحقيق، مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، د ط، الدار العلمية للكتب، بيروت – لبنان، دت، ص65-66 *- هذا أصل القضية عنده، فهو لا يعترف بالغزل الذي يتناول فيه الشاعر وصف محاسن المرأة، بل يقصره على وصف ما يجده الرجل في نفسه من عواطف وانفعالات تجاه المرأة، لا سيما تعبيره عن آلام البعد والشوق والصبر على ذلك. وهذا لعمري عين الرقابة والحجر والتضييق على الشعراء. يلاحظ القارئ غياب شعر أعلام الغزل المشهورين، حتى أولئك الذي عرفوا بالغزل العفيف. (ينظر تعريفه للنسيب، في نقد الشعر، م.س، ص134)

* هذا أصل القضية عنده، فهو لا يعترف بالغزل الذي يتناول فيه الشاعر وصف محاسن المرأة، بل يقصره على وصف ما يجده الرجل في نفسه من عواطف وانفعالات تجاه المرأة، لا سيما تعبيره عن آلام البعد والشوق والصبر على ذلك. وهذا لعمري عين الرقابة والحجر والتضييق على الشعراء. يلاحظ القارئ غياب شعر أعلام الغزل المشهورين، حتى أولئك الذي عرفوا بالغزل العفيف. (ينظر تعريفه للنسيب، في نقد الشعر، ص134)

49- نقد الشعر، م.س، ص137-138

50- يقول تمام حسان: "والواقع أن هذه الدراسة للمعنى ـ وهي دراسة معان وظيفية في صميمها ــ تبدو أكثر صلة بالنحو منها بالنقد الأدبي الذي أريد بها خطأ أن تكونه. ومن هنا نشأت هذه الفكرة التي تتردد على الخواطر منذ ومن طويل أن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني حتى إنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صح هذا التعبير."(اللغة العربية معناها ومبناها، د ط، دار الثقافة، الدار رالبيضاء،1994 ص18)

51- ابن طباطبا،عيار الشعر، م.س، ص15 ـ 16

52- عبد القاهر الجرجاني، الدلائل، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر ،ط5، مكتبه الخانجي، القاهرة2004،ص484 ــ511، والأسرار، تحقيق محمود مُحَمَّد شاكر، ط1، دار المدني، جدة، 1991 ص 338 وما بعدها

53- نقد الشعر، م.س، ص124

54- عيار الشعر، م.س، ص17

55-المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، مج1،ط1، دار الجيل، بيروت1991، ص10-11

56- الأسرار ، م.س، ص 149

57- نفسه، ص 74 وما بعدها

58 -جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، 1992 ص222 ــ 223 .